البيرونى أيضاً

نشرتم فى ص ٢٠ من الجزء الرابع من الرسالة ترجمة للبيرونى حسنة التألف والمضامين متناولة لكثير من مناحى الرجل العلمية والفنية ، ولكنها مغفلة لمنحاه الأدبى المصطلح عليه فى عصره ، وهذا مما تعنى به الرسالة ويصيب منها هوى فيه ، فللبيرونى كتاب « شعر أبى تمام » قال ياقوت الحموى « رأيته بخطه لم يتمه » وكتاب التعلل باجالة الوهم فى معانى نظم أولى الفضل ، وكتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه ، وكتاب المسامرة فى أخبار خوارزم ذكره ياقوت أيضاً فى مادة « خوارزم » وكتاب مختار الأشعار والآثار قال ياقوت « وانما ذكرته أنا ههنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغوياً وله تصانيف فى ذلك » ولم يذكر فى الترجمة المنشورة فى الرسالة كتابه « تقاسيم الأقاليم » قال ياقوت « وجدت كتاب تقاسيم الأقاليم تصنيفه وخطه وقد كتبه فى هذا العام ٣ » وليس هو الذى أشير اليه فى الرسالة بما نصه « وعمل قانوناً جغرافياً كان أساساً لاكثر القسموغرافيات المشرقية » وله كتاب « اعتبار مقدار الليل والنهار » وسبب تأليفه أن السلطان محمود الغزنى ورد عليه رسول من أقصى بلاد الترك وحدث بين يديه بما شاهد ، فى ما وراء البحر نحو القطب الجنوبى (كذا) من دور الشمس عليه ظاهرة فى كل دورها فوق الأرض بحيث يبطل الليل ، فتسارع السلطان على عادته فى التشدد فى الدين ، الى نسبة الرجل الى الالحاد والقرمطة ، على كونه بريئاً منهما ، فقال أبو نصر بن مشكان للسلطان « ان هذا لا يذكر ذلك عن رأى يرتئيه ولكن عن مشاهدة يحكيه » وتلا قوله عزوجل « وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » فسأل السلطان أبا الريحان عن ذلك فأخذ يصفه له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الاقناع ، وكان السلطان فى بعض الأوقات يحسن الاصغاء ويبذل الانصاف ، فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبينه وقتئذ ، وبعد تولى ابنه مسعود للسلطنة انبعثت القضية ائتنافاً وفاوض البيرونى يوماً فيها وفى سبب اختلاف مقادير الليل والنهار فى الأرض وأحب من أبى الريحان البرهان ليجتزىء به عن العيان ، فقال له أبو الريحان « أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين ، والمستحق بالحقيقة اسم ملك الأرض ، فأخلق بهذه المرتبة ايثار الاطلاع على مجارى الأمور وتصاريف أحوال الليل والنهار ومقدارها فى عامرها وغامرها » وصنف له ذلك الكتاب المتقدم ذكراً بطريق يبعد عن مواضعات المنجمين والقابهم ويقرب تصوره من فهم من لم يرتض بهذا العلم ولم يعتده ، وكان السلطان قد مهر فى العربية فسهل له وقوفه عليه وأجزل إحسانه اليه ، وكذلك صنف كتاباً فى « لوازم الحركتين » بأمر هذا السلطان . قال ياقوت « وهو كتاب جليل لا مزيد عليه مقتبس أكثر كلماته عن آيات من كتاب الله عز وجل وكتابه الآخر المعنون بالدستور الذى صنفه باسم شهاب الدولة أبى الفتح مودود بن السلطان الشهيد ، مستوف أحاسن المحاسن » وذكر له صاحب روضات الجنات غير ماجىء به فى الرسالة كتاب « تسطيح الكرة » وكتاب « الاستيعاب فى علم الاسطرلاب » وهو غير « العمل بالاسطرلاب » وكان كبيراً على ما قال مؤلف الروضات ، وكتاب « تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن » وكتاب « التفهيم فى صناعة التنجيم » بالعربية والفارسية ، وكتاب « الأظلال » ورسالة فى تهذيب الأقوال ومقالة فى استعمال الاسطرلاب الكرى وأخرى فى تلافى عوارض الزلة فى دلائل القبلة ، وكتاب اختصار بطليموس القلوذى ، وكتاب الأطوال للفرس ، وتاريخ الهند وهو مجلدات ، ونفهم من كلام صاحب الروضات أن العلماء اختلفوا فى اسمه فترجمه بعضهم فى باب « المحمدين » وبعض مع الأحمدين وفعل هو الأمرين ، وأن صلاح الدين الصفدى ذكره فى تاريخ « الوافى بالوفيات » وذكره صاحب طبقات النحاة ومؤلف رياض العلماء وحمد الله المستوفى الفارسى فى نزهة القلوب ، وذكره القفطى فى ترجمة « بطليموس القلوذى » الذى أسلفنا ذكراً له . قال « وما أعلم أحداً تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطى ولا تعاطى معارضته بل تناوله بالشرح والتبيين كالفضل بن ابى حاتم التبريزى وبعضهم بالاختصار والتقريب كمحمد بن جابر البتانى وأبى الريحان البيرونى الخوارزمى مصنف كتاب القانون المسعودى الفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين وحذا فيه حذو بطليموس . . . » وذكره شمس الدين الشهرزورى فى تاريخ الحكماء فقال « أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى وبيرون مدينة فى السند . . . وقال ياقوت « وهذه النسبة معناها : البرانى لأن بيرون بالفارسية معناه : برا ، وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلا وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريباً ، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق ، يعنى أنه من برا البلد » وأقول إن التكلف فى تخريج نسبته ظاهر ، فالشهرزورى أتبع قوله السابق ماصورته « وبيرون التى هى منشأه ومولده بلدة طيبة فيها عجائب وغرائب ، ولا غرو فان الدر ساكن الصدف » وقد الحق فى كتابه اثار الباقية المطبوع فى ليبزيج ثبت لكتبه فيه اسم (١١٢) تأليفاً

بغداد — مصطفى جواد